خطبة صلاة الجمعة 23/ 10/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: **«كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقول: أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدْعةٍ ضلالة»**.

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين؛ الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال، ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، يقال فلان حسن الهدي أي الطريقة والمذهب، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **«إنَّ أحسنَ الحديثِ كِتَابُ اللهِ، وأحسنُ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم –، وشَرُّ الأمُورِ مُحْدَثاتُها، وإنَّ ما تُوعدونَ لآتٍ، وما أنتُم بمعجزين»**.

قال ابن منظور: فُلَانٌ حَسَنُ الهَدْيِ هُوَ حُسْنُ الْمَذْهَبِ فِي أُموره كُلِّهَا، وأحسن الهدي هدي محمد أَي أَحسَنُ الطريقِ والهِداية وَالطَّرِيقَةِ وَالنَّحْوِ وَالْهَيْئَةِ، هدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت سلسلةُ الخطب عنوانُها: (**هَدْيُ رسول الله صلى الله عليه وسلم**) لنكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننالَ الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أن الكمال البشري معقود في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذى حذوه صلى الله عليه وسلم سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه.

تتناول السلسلة حديثاً عن هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية، وعن هديه في المعاملات المالية، وعن هديه صلى الله عليه وسلم في بيته وأسرته، وعن هديه في عسره وشدائده، وعن هديه في تعليمه ودعوته، وغيرها.

عنوان خطبة اليوم: **هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية.**

وإليكم بعضَ المعالم في هديه صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية لنستن بسنته ونهتدي بهديه صلى الله عليه وسلم:

أولاً: عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا أصحابه للعمل:

باع رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترى، وشراؤه أكثر من بيعه، وآجر واستأجر، واستئجاره أكثر من إيجاره، ووكّل وتوكّل، وتوكيله أكثر من توكله، وأهدى وقبل الهدية وأثاب عليها، ووهب واتّهب، واستدان برهن، وبغير رهن، واستعار، وشارك، ووقف أرضاً في سبيل الله، واشترى بالثمن الحال والمؤجل. وتشفع وشُفِعَ إليه، وردّت بريرة شفاعته في مراجعتها مغيثاً، فلم يغضب عليها، ولا عتب، وهو الأسوة والقدوة، صلى الله عليه وسلم.

ولما عاب المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزوله إلى السوق: ﴿قَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: 7، 8] رد القرآن الكريم عليهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: 20].

فالأنبياء عليهم السلام يتجرون ويحترفون، ويعملون لعمارة الأرض.

كان صلى الله عليه وسلم يعلِّمُ أصحابَه أن اللهَ يحب المحترف، ولا يحب البَطَّالَ من عباده، يقول لهم: «ما أَكَلَ أحدٌ طعاماً خيراً من أن يأكُلَ من عمل يده» [البخاري] ويقول لهم صلى الله عليه وسلم: «إذا فُتِحَ لأحدكم رزقٌ من باب فليلزمه» [البيهقي].

وكان يحدثُهم عن الأنبياء، ويذُكر لهم أعمالَهم، فنوحُ وزكريا عليهما السلام عَمِلا في التجارة، وآدمُ وأيوب عليهما السلام عَمِلا في الزراعة، وإدريسُ في الخياطة، وداودُ في صناعة الدروع، وكان يوسُفُ موظفاً عند عزيز مصر.

فمن أراد أن يستن بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فليعمل لعمارة الأرض كما عمل لها الرسل والأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم.

ثانياً: كان صلى الله عليه وسلم متمثلاً أخلاق الإسلام وآدابه في عمله:

فقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس معاملة، وحسبكم أنهم لقبوه الصادقَ الأمينَ، إذا استسلف من رجل قضاه ودعا له فقال: «بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء» [النسائي] وإذا استسلف من رجل قضاه وزاده، فقد روى الشيخان عن جَابِرٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أَتَيْت النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَقَضَانِي وَزَادَنِي».

وربما أخطأ معه امرؤ في السوق فحَلُمَ عنه وتلطف له.

وباعه يهودي بيعاً إلى أجل فجاءه قبل الأجل يتقاضاه ثمنه فقال: لم يحل الأجل، فقال اليهودي: إنكم لمطل يا بني عبد المطلب، فهم به أصحابه فنهاهم ولم يزده ذلك إلا حلماً، فقال اليهودي: كل شيء منه قد عرفته من علامات النبوة وبقيت واحدة وهي أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً فأردت أن أعرفها فأسلم اليهودي. (أصله عند ابن حبان).

وأخرج أبو داود في "سننه" عن السائب بن أبي السائب - وكان شريك النبي صلى الله عليه وسلم في تجارته حيناً- قال السائبُ: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلوا يُثنون علي ويذكروني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا أعلمُكُم به» قلتُ: صدقتَ بأبي وأمي، كنتَ شريكي فنِعمَ

الشريك، كنت لا تُدارئ، ولا تماري. ومعنى لا تدارئ، أي: لا تخالِفْ الحق، ولا تمانع. ومعنى: لا تماري، أي: لا تجادِلْ، ولا تخاصم.

وفي البخاري في صفته عليه السلام:" ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق".

فقد تخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخلاق الإسلام وتأدب بآدابه في معاملاته المالية من صدق وأمانة ووفاء وحلم ورحمة للخلق وترك للغش والحلف الكاذب.

كيف لا، وهو الذي خرج يوماً إلى أصحابه، فقال: **«إن التاجرَ الصدوق الأمين، مع النبيين والصديقين والشهداء»** [الترمذي]. وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: **«إن التجار يبعثون فجاراً يوم القيامة إلا من اتقى اللهَ، وبرَّ، وصدق»** [الترمذي].

فمن كان مستناً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم مهتدياً بهديه فليتمثل أخلاق الإسلام في عمله وليتأدب بآدابه.

ثالثاً: لم تشغله صلى الله عليه وسلم معاملاته المالية عن واجباته الدينية:

فكما أنه صلى الله عليه وسلم لم تشغله عباداته الشعائرية عن واجباته الحياتية فكذلك لم تشغله معاملاته المالية عن واجباته الدينية.

لم يترك آخرته لدنياه ولم يدع دنياه لآخرته، بل علّم أتباعه كيف يجمعون بينهما، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

فها هو صلى الله عليه وسلم يذكر الله كلما دخل السوق، روى الإمام أحمد والحاكم عن بريدة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل السوق قال: **«بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أسألُكَ خَيْرَ هَذِهِ السّوقِ وَخَيْرَ ما فِيها، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّها وَشَرّ ما فِيهَا، اللَّهُمَّ إني أعُوذُ بِكَ أنْ أُصِيبَ فِيها يَمِيناً فاجِرَةً أوْ صَفْقَةً خاسِرَةً»**.

وها هو صلى الله عليه وسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في أثناء دخوله السوق، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ في السوق على صُبرَةِ طعامٍ، فأَدْخَلَ يده فيها، فنالتْ أَصابعُه بَلَلاً، فقال: **«ما هذا يا صاحب الطعام؟»**، قال: يا رسول الله أَصابته السماء، قال: **«أَفلا جعلتَه فوقَ الطعام حتى يراهُ الناسُ؟!»**، وقال: **«مَن غَشَّنا فليس منا»**.

وهاهم صحابته الكرام يتعلمون منه فلا تصدهم أموالهم عن صلواتهم، أخرج النسائي عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: «كنا نَغْدُو إلى السوق على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَنَمُرُّ على المسجدِ، فنُصلّي فيه».

فمن أراد الاهتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فلا يمنعنه ماله عن فرائض ربه.

رابعاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه حلال الكسب من حرامه، ويرغبهم بالحلال ويحذرهم الحرام:

فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، وحرم ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغي، ونهاهم عن بيع فضل الماء وعسب الفحل وعن بيع الحصاة والملامسة والمنابذة والمحاقلة والمزابنة وعن بيع الغرر عن بيع حبل الحبلة وعن بيعتين في بيعة وعن بيع مالم تملك وبيع ما ليس عندك وعن بيع الدين بالدين وعن بيع الحاضر للباد وعن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها، وحذرهم من النجش وتلقي الركبان والغش والاحتكار، ولعن آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه، وبيّن لهم أنه يجب بيانُ العيب في المعقود عليه والنصيحةُ لكل إنسان.

وذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم -فيما رواه مسلم-: **«الرجلَ يُطيل السَّفر، أشعثَ أغْبَرَ، يمدّ يديه إلى السماء: يا ربِّ يا رب ومطْعمه حرام، ومشْرَبُه حرام، وملبَسَهُ حرام، وغُذِيّ بالحرام، فأنَّى يُستجَاب لذلك؟»**.

وأخبرهم – فيما رواه الإمام أحمد- قال: **«لَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ»**.

وهكذا فهديه صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية ترك الحرام وأخذ الحلال.

وبعد أيها الإخوة:

هذه أربعة في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية:

أولا: عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا أصحابه للعمل.

ثانياً: كان صلى الله عليه وسلم متمثلاً أخلاق الإسلام وآدابه في عمله.

ثالثاً: لم تشغَلْه صلى الله عليه وسلم معاملاته المالية عن واجباته الدينية.

رابعاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه حلال الكسب من حرامه، ويرغبهم بالحلال ويحذرهم الحرام.

فليجتهد كل منا في عمارة الأرض بالعمل الصالح وليتمثل أخلاق الإسلام وآدابه في عمله، ولا تشغَلَنَّه معاملاتُه المالية عن واجباته الدينية، وليجتنب الحرام ويأخذِ الحلال.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين